أدب الخصومة بين الأفاضل في ضوء خصومة الشيخين رضي الله عنهما

إعداد

د. عابد بن عبد الله بن معيوض الثبيتي

الأستاذ المشارك بقسم الثقافة الإسلامية

جامعة الطائف

ملخص البحث

جاء البحث في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وفيه تم بيان مصطلحات البحث، وفضل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ودراسة حديث خصومتهما رواية ودراية، ثم عرض سبع قواعد عامة حاكمة للخصومات بين الأفاضل، وبيان ستة آداب ينبغي للأفاضل مراعاتها، ثم ختم بذكر خمسة أحكام فقهية متعلقة بالخصومة بين الأفاضل.

ومن أبرز نتائج البحث أنَّ وقوع الخصومة بين الأفاضل دليل غلبة طبيعتهم البشرية، وأنَّ الغضب أصل تنشأ عنه الخصومات ويقع بسببه الاعتداء اللفظي والجسدي، وأنَّ الذي يقدِّم المسلم على غيره من المسلمين طاعته لله ورسوله، وكثرة قرباته ومسارعته في الخيرات، وأنَّه كلَّما تجرد من حظوظ نفسه استطاع ضبط تصرفاته وتغلَّب على هواه، فنتج عن ذلك صدقه وسرعة فيئته للحق والمبادرة للاعتذار عن الخطأ، وقبول عذر من يعتذر إليه.

ومن أبرز توصيات البحث أنَّه ينبغي للأفاضل أن يتوقَّوا الخصومة قدر الإمكان؛ لأنَّهم رأس الناس وقدوتهم، والناس تبع لهم، يقتدون بهم ويقلِّدونهم في أقوالهم وأفعالهم، كما ينبغي أن يكون أسلوب تعاملهم مختلفا عن غيرهم، إذ ينبغي أن يتحاكموا إلى الفضلاء أمثالهم -بادئ الأمر- فإن تمَّ الاتفاق والصلح وإلا فلهم بعد ذلك التخاصم إلى القضاء ليفصل بينهم بالعدل، كما ينبغي أيضا أن تبنى العلاقات الاجتماعية بين المسلمين على الرحمة والمودة.

❁❁❁

Abstract

This research consists of an introduction, preface, three researches, and a conclusion, in which the search terms were explained, and the preference of Abu Bakr and Omar(May Allah be pleased with them), and a study of their opponents 'narration and Knowledge, then presented seven general rules governing the deductions between the virtuous, and the statement of six manners that the virtuous should observe, then concluded with a mention Five jurisprudence provisions relating to litigation between the virtuous.

Among the most prominent results of the research is the occurrence of dispute between the virtuous is an evidence of the predominance of their human nature, the anger is a source from which the disputes arise, which led to verbal and physical assault, and that makes the Muslim virtuous over other Muslims his obedience for Allah and His Messenger, his many Nearness and speed in good deeds, whenever he stripped himself of his fortunes He was able to control his behavior and overcome his whims, which resulted in his sincerity and speed of his return to the right and initiative to apologize for the mistake and accept the excuse of those who apologize to him.

Among the most prominent recommendations of the research is the virtuous should avoid to dispute as much as possible, because they are the top of the people and their example, the people followed them, imitate them in their sayings and actions, as it should be the manner of their treatment different from others, as they should go for judgment to the virtues their likes - First of all - if there is an agreement and reconciliation, otherwise they may then litigation to the judiciary to separate them with justice. Also, social relations between Muslims should be built on mercy and affection.

مُقَدِّمَة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، نبينا محمد وآله وصحبه وسلم. **أمَّا بعد؛**

فإنَّ الله تعالى أنزل شريعته كاملةً عن كل نقص، مبرأة من كل عيب، شاملةً لكل خير، واقتضت حكمته وقوع حوادث تكون سببا للتشريع، فينزل الوحي عندها لبيان الحكم الشرعي، أو يُقيض الله من أهل العلم من يستنبط منه ما يكون نبراسا يستقي منه أهل الإيمان في كل زمان مايكون معينا لهم في إصلاح دينهم ودنياهم.

وقد روت لنا كتب الصحاح والسنن والمسانيد كل الوقائع التي طرأت في زمن النبي ﷺ مما يتعلق بها تشريع للناس، وما زال العلماء يتدارسونها ويستنبطون منها، كلٌ حسب جهده وما منحه الله من الفهم لكتابه وسنة نبيه ﷺ.

موضوع البحث:

موضوع هذا البحث عن أدب من آداب الإسلام، هو أدب الخصومة التي تقع بين الأفاضل الأخيار من أمة محمد ﷺ، وعنوانه: **أدب الخصومة بين الأفاضل في ضوء خصومة الشيخين** رضي الله عنهما.

مشكلة البحث تساؤلاته:

إنَّ اختلاف الرأي ووقوع النزاع والخصومة بين الناس أمر غير مستنكر، بل قد تقع الخصومة بين أفاضل الناس وعقلائهم وخيارهم فضلا عن عامتهم، ولكن السؤال الرئيس، هو: ما القواعد والآداب المستنبطة من خصومة الشيخين رضي الله عنهما ؟

ويندرج تحت هذا السؤال الكبير عدد من الأسئلة الفرعية، وهي:

١) هل تقع الخصومة بين الأفاضل؟

٢) ما القواعد العامة الحاكمة للخصومات بين الأفاضل؟

٣) ما الآداب الشرعية التي ينبغي للأفاضل التزامها حال الخصومة؟

٤) ما الأحكام الفقهية المتعلقة بالخصومة بين الأفاضل؟

أهمية البحث:

- أنَّ هذا البحث متعلق بنوع من الآداب الشرعية الخاصة بأهل الفضل من المسلمين.
- وجود وقائع اختصام كثيرة بين أهل الفضل في زماننا، مما يستدعي البحث عن آدابها الشرعية، ونشرها ليقتدي اللاحق بالسابق من أهل الفضل رضي الله عنهم.

أهداف البحث:

- استنباط القواعد الحاكمة للخصومات بين الأفاضل.
- استخلاص الآداب التي ينبغي للأفاضل الالتزام بها عند وقوع الخصومة بينهم.
- بيان موقف المجتمع المسلم من الخصومات بين أفاضل الناس.

أسباب اختيار البحث:

١) وقوع بعض الخصومات بين الأفاضل في زماننا، مع عدم التعامل الصحيح معها.

٢) الحاجة إلى استنباط نوع من أنواع الآداب الخاصة بالخصومات بين الأفاضل.

٣) عدم وجود دراسة علمية عن هذا النوع من الآداب.

٤) الرغبة لدى الباحث في إعداد بحث علمي في هذا الموضوع.

الدراسات السابقة:

إنَّه بعد البحث في المواقع الإلكترونية، وقواعد المعلومات بمكتبة الملك فهد الوطنية لم يجد الباحث أيَّ دراسة عن أدب الخصومات بين الأفاضل.

منهج البحث:

يستخدم الباحث في إعداد بحثه المنهج الاستقرائي والاستنباطي القائمين على جمع المعلومات، وتصنيفها وتحليلها واستنباط الآداب منها.

إجراءات البحث:

- جمع روايات حديث خصومة الشيخين-أبي بكر وعمر رضي الله عنهما-، واختيار الصحيح منها دون غيره.
- قراءة شرح الحديث عند العلماء، لأجل فهم الحديث فهما صحيحا.

- استنباط القواعد والآداب المتعلقة بالخصومة بين الأفاضل من المسلمين.
- تقسيم المعلومات على حسب خطة البحث.
- صياغة البحث، وكتابة مباحثه مع التوثيق الكامل للنقول بالطريقة العلمية المعهودة.
- كتابة الآيات بالرسم العثماني، وعزوها بكتابة اسم السورة ورقم الآية بعدها مباشرة بخط صغير.
- تخريج الأحاديث النبوية من مظانها، فإن كانت في الصحيحين أو أحدهما فأكتفي بذكر المرجع ورقم الحديث فقط، ولا أذكر الكتاب ولا الباب طلبا للاختصار، وأمَّا إن كانت في غيرهما فأنسبها إلى مظانها من كتب السنة، ثم أُعقِّب بذكر حكم أهل الفن عليها، كالشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ومحقق مسند الإمام أحمد وابن حبان: الشيخ شعيب الأرناؤوط، وغيرهما من أهل الاختصاص، واخترت من طبعات كتب السنة ما أضيفت لها أحكام العلماء على الأحاديث، ليكون الترقيم واحدا للحديث والحكم عليه.
- ترجمت للأعلام غير المشهورين -في نظر الباحث- ولم أترجم لسواهم كأكثر الصحابة رضي الله عنهم، وأئمة المذاهب الأربعة ونحوهم لشهرتهم.

تقسيم البحث:

يتكون هذا البحث من: مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، بالإضافة للفهارس، وهي على النحو الآتي:

المقدمة: وفيها: موضوع البحث، ومشكلته، وأهميته، وأهدافه، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة فيه، والمنهج المتبع في إعداده، والإجراءات التي سلكها الباحث، وتقسيمات البحث.

التمهيد: وفيه ثلاثة مطالب:

الأول: مصطلحات البحث.

الثاني: فضل الشيخين رضي الله عنهما.

الثالث: حديث خصومة الشيخين رواية ودراية.

المبحث الأول: القواعد العامة الحاكمة للخصومات بين الأفاضل، وفيه سبعة مطالب.

المبحث الثاني: آداب الأفاضل المتخاصمين، وفيه ستة مطالب.

المبحث الثالث: الأحكام الفقهية المتعلقة بالخصومة بين الأفاضل، وفيه خمسة مطالب.

الخاتمة: وفيها أبرز النتائج التي توصَّل إليها الباحث.

❁❁❁

التمهيد

المطلب الأول: مصطلحات البحث:

تضمن البحث عددا من المفردات التي ينبغي التعريف بها، وبيانها على النحو الآتي:

١) الأدَبُ:

اسم لما ينبغي أن يتأدَّب به الناس؛ وسمِّي بذلك لأنَّه يَأْدِبُ الناس إلى المحامد وينهاهم عن المقابح[١]. وسبيل تحصيل الآداب عموما، هو: الرياضة، والمجاهدة، والتعليم، والتهذيب[٢].

٢) الخصومة:

اسم من التخاصم: وهو الجدال والنزاع، وأشده اللدد، وهو: الخصومة الشديدة [٣].

٣) الأفاضل:

جمع فاضل، وهو: المتصف بالفضيلة. والفضيلة: ضد النقيصة، وهي: الدرجة الرفيعة. وفضيلة كل شيء بحسبه، ففضيلة السيف: القطع، وفضيلة العقل: إحكام الفكر، وهكذا[٤].

وأمَّا الفضيلة في المسلم ذكرا كان أو أنثى، فهي: الدين والتقوى، مع كبر السنِّ أو عِظَم المنزلة.

---

(١) ينظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور(ت٧١١هـ)، ط١، دار صادر، بيروت، سنة النشر: بدون (١/ ٢٠٦). تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد المرتضى الزَّبيدي(ت١٢٠٥هـ)، ت: مجموعة من المحققين، ط: بدون، دار الهداية، مكان النشر وسنته: بدون (٢ / ١٢).

(٢) ينظر: المصباح المنير، أحمد بن محمد المقري الفيومي(ت٧٧٠هـ)، ط: بدون، المكتبة العلمية، بيروت، سنة النشر: بدون (١/ ٩)، والمعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، ط٢، المكتبة الإسلامية، تركيا، سنة النشر: بدون (١/ ٩).

(٣) ينظر: لسان العرب(١٢/ ١٨٠)، والنهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين ابن الأثير(ت٦٠٦هـ)، ت: علي بن حسن بن عبد الحميد الحلبي، ط١، دار ابن الجوزي، السعودية، ١٤٢١هـ (ص٨٣٣)، والمعجم الوسيط(١/ ٢٣٩).

(٤) ينظر: المصباح المنير(٢/ ٤٧٦)، والمعجم الوسيط(٢/ ٦٩٣).

٤) الشيخان:

مثنى الشيخ، ويطلق في اللغة على الذي استبانتْ فيه السن وظهر عليه الشيبُ، وقيل: هو شَيْخٌ من خمسين إِلى آخر عمره، وقيل: من إِحدى وخمسين إِلى آخر عمره، وقيل: من الخمسين إِلى الثمانين. ويطلق لفظ الشيخ مجازا على الرجل الذي لم يبلغ الخمسين من باب التبجيل والتوقير(١).

وقد اشتهر عند العلماء إطلاق لفظ الشيخين اصطلاحا على أشخاص معينين، فالشيخان في الصحابة: أبو بكر وعمر رضي الله عنهما. وهما عند الحنيفة: أبو حنيفة وأبو يوسف(٢). وعند المالكية: عبد الله بن أبي زيد(٣) وأبو الحسن القابسي(٤). وعند الشافعية: عبد الكريم بن أبي

(١) ينظر: القاموس المحيط، مجد الدين الفيروز آبادي(ت٨١٧هـ)، ت: مكتب تحقيق التراث، ط٧، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٤هـ (ص٣٢٥)، والمعجم الوسيط(١/ ٥٠٢)، ولسان العرب(٣/ ٣١).

(٢) هو: يعقوب بن إبراهيم بن حبيب البجلي الأنصاري الكوفي، إمام مجتهد، وفقيه محدث، ولد سنة ثلاث عشرة ومئة، وصحب أبا حنيفة ولازمه حتى صار يعرف به، وقد تولى القضاء في زمن بني العباس، وتوفي سنة اثنتين وثمانين ومئة. ينظر: سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي (ت٧٤٨هـ)، ت: مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت (٨/ ٥٣٦).

(٣) هو: عبد الله بن أبي زيد القيرواني، إمام فقيه مالكي، كان يسمى: مالك الصغير لكثرة علمه، كان عالما كثير الحفظ والرواية، فصيح القلم بصيرا بالرد على أهل الأهواء. توفي سنة ست أو تسع وثمانين وثلاثمئة. من كتبه: الرسالة، النوادر والزيادات. ينظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القاضي عياض اليحصبي (٥٤٤هـ)، ت: سعيد أحمد أعراب، ط: بدون، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ١٤٠٢هـ، (٦/ ٢١٥). وسير أعلام النبلاء (١٧/ ١٠).

(٤) هو: علي بن محمد بن خلف المعافري، فقيه مالكي، ولد في القيروان سنة أربع وعشرين وثلاثمئة، وتوفي سنة ثلاث وأربعمئة من الهجرة. وكان أعمى العينين؛ لكنه واسع العلم، عالما بالحديث وعلله ورجاله، فقيها أصوليا متكلما، وكان من الصالحين الزهاد. من كتبه: الممهد في الفقه، أحكام الديات. ينظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك (٧/ ٩٢)، وسير أعلام النبلاء (١٧/ ١٦٠).

الفضل الرافعي[1] والنووي[2]. وعند الحنابلة: موفق الدين بن قدامة[3] ومجد الدين عبدالسلام بن تيمية[4]. وعند المحدثين: البخاري ومسلم[5].

والشيخان المقصودان في البحث هما: أبو بكر الصديق، وعُمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

❁❁❁

(١) هو: عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم بن الفضل بن الحسن القزويني الرافعي، إمام وفقيه شافعي، كان عالما زاهدا تقيا ورعا، ولد سنة خمس وخمسمئة، وتوفي سنة ثلاث وعشرين وستمئة. من كتبه: فتح العزيز شرح الوجيز، وشرح مسند الشافعي. ينظر: طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين عبدالوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي(٧٧١هـ)، ت: د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلو، ط٢، دار هجر، ١٤١٣هـ، (٨/ ٢٨١)، وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ٢٥٢).

(٢) هو: يحيى بن شرف بن مري الحزامي الحوراني، إمام محدث، وفقيه شافعي، كان بارعا حافظا متقنا شديد الورع والزهد، ولد سنة إحدى وثلاثين وستمئة، وتوفي سنة ست وسبعين وستمئة. من كتبه: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، وروضة الطالبين. ينظر: طبقات الشافعية، أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة (ت٧٣٧)، ت: د. الحافظ عبد العليم خان، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٧هـ، (٢/ ١٥٣)، وتذكرة الحفاظ، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت٧٤٨هـ)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ، (٤/ ١٤٧).

(٣) هو: عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، إمام وفقيه حنبلي، ولد سنة إحدى وأربعين وخمسمئة، وتوفي سنة عشرين وستمئة، وكان من بحور العلم وأذكياء العالم، متواضعا حسن الاعتقاد. من كتبه: عمدة الفقه، والمغني. ينظر: سير أعلام النبلاء (٢٢/ ١٦٦)، والذيل على طبقات الحنابلة، عبدالرحمن بن أحمد بن رجب(٧٩٥هـ)، ت: عبدالرحمن العثيمين، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤٢٥هـ، (٣/ ٢٨١).

(٤) هو: عبدالسلام بن عبدالله بن الخضر الحراني، المعروف بأبي البركات مجد الدين ابن تيمية، وهو جد شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، فقيه حنبلي، انتهت إليه إمامة الحنابلة في عصره، ولد سنة تسع وخمسين وخمسمئة، وتوفي سنة اثنتين وخمسين وستمئة. من كتبه: المحرر في الفقه، والمنتقى من أحاديث الأحكام. ينظر: سير أعلام النبلاء(٢٣/ ٢٩١)، الذيل على طبقات الحنابلة(٤/ ١).

(٥) ينظر: بحث: ترميز كتب الحديث، د. محمد بن سليمان الأشقر، مجلة الحكمة، العدد١٠، السعودية، ١٤١٥هـ (ص٢٤١)، والمدخل إلى دراسة المدارس والمذاهب الفقهية، د. عمر بن سليمان الأشقر(ت١٤٣٣هـ)، ط١، دار النفائس، الأردن، ١٤١٦هـ (ص١٣١، ١٠٨، ١٦٨).

المطلب الثاني

فضل الشيخين رضي الله عنهما

إنَّ من المعلوم عند أهل الإسلام قاطبة -حتى أوائل الشيعة الذين ظهروا في عهد الصحابة رضي الله عنهم- أنَّ أفضل الأمَّة بعد النبي ﷺ: أبو بكر، وعمر رضي الله عنهما. وقد نصَّ كثير من الصحابة على هذا، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: كنَّا نقول ورسول الله ﷺ حيٌّ: أفضل أمَّة رسول الله ﷺ بعده: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان(١). وقال أيضا: كنَّا نتحدث على عهد رسول الله ﷺ أنَّ خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ثم عثمان، فيبلغ ذلك النبي ﷺ فلا يُنكره(٢).

وعن حذيفة رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: اقتدوا بالذين من بعدي: أبو بكر وعمر(٣).

وعن محمد بن الحنفية(٤) قال: قلت لأبي: من خير الناس بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أبو بكر. قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر. قلت: فأنت؟ قال: أبوك بعد رجل من المسلمين(٥).

---

(١) أخرجه أبو داود، سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني(ت٢٧٥هـ)، تعليق وأحكام محمد ناصر الدين الألباني، ط٢، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٢٩هـ، حديث رقم (٤٦٢٨)، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة، عمرو بن أبي عاصم الضحاك الشيباني(ت٢٨٧هـ)، ت: محمد ناصر الدين الألباني، ط١، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٠هـ، حديث رقم (١١٩٣)، وصححه إسناده الألباني.

(٣) أخرجه الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي (ت٢٧٩هـ)، تعليق وأحكام محمد ناصر الدين الألباني، ط٢، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٢٩هـ، حديث رقم (٣٦٦٣)، وصححه الألباني، وهذا لفظ عبد الله بن أحمد في السنة، ت: د. محمد سعيد سالم القحطاني، ط١، دار ابن القيم، الدمام، ١٤٠٦هـ، حديث رقم (١٣٦٦).

(٤) هو: محمد بن علي بن أبي طالب، أمه من بني حنيفة ولهذا يقال له: ابن الحنفية، روى عن جماعة من الصحابة، وكان من أفاضل أهل بيته، ولد في أواخر خلافة عمر، وتوفي برضوى سنة ثلاث وسبعين، وقيل: ثمانين، وقيل إحدى وثمانين من الهجرة. ينظر: الثقات، محمد بن حبان بن أحمد البستي(٣٥٤هـ)، ت: السيد شرف الدين أحمد، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٥هـ، (٥/ ٣٤٨)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ١١٠).

(٥) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة، حديث رقم(١٣٦٢)، وصحح إسناد المحقق، وأصله عند البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر(صحيح البخاري)، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق مجموعة من طلبة العلم بإشراف: صالح آل الشيخ، ط٣، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢١هـ، حديث رقم(٣٦٧١).

وعن عون بن أبي جحيفة[1] قال: كان أبي من شُرط علي رضي الله عنه، وكان تحت المنبر، فحدثني أبي أنَّ عليا صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ وقال: خير هذه الأمة بعد نبيها: أبو بكر، والثاني: عمر. وقال: يجعل الله الخير حيث أحب[2].

وعن وهب السُوائي[3] قال: خطبنا علي رضي الله عنه فقال: من خير هذه الأمة بعد نبيها؟ قلنا: أنت يا أمير المؤمنين. قال: لا، خير هذه الأمة بعد نبيها: أبو بكر، ثم عمر، وما كنَّا نُبْعِد أنَّ السكينة تنطق على لسان عمر[4].

وأمَّا الأفضل منهما فهو أبو بكر، فهو الصدِّيق، السابق للإسلام، وصاحب مواساة النبي ﷺ بالنفس والمال، قال ابن تيمية رحمه الله(ت٧٢٨هـ): "قد علم كل عالم يعلم سيرة النبي ﷺ بالاضطرار أنَّ أهل الصفة كانوا كسائر المؤمنين مع النبي ﷺ، وأنَّه لم يكن لأحد من الصحابة إلى الله طريق إلا متابعة رسوله، وأنَّ أفضل الصحابة كان أقومهم بالمتابعة كأبي بكر وعمر، وأبو بكر أفضل من عمر، وهو أفضل الصديقين. وقد ثبت في الصحيحين أنَّه قال: **(إنَّه قد كان في الأمم قبلكم محدَّثون، فإن يكن في أمتي أحد فعمر)**[5].

فعمر وإن كان محدَّثا فالصدِّيق الذي يأخذ من مشكاة النبوة أفضل منه وأكمل منه؛ لأنَّ ما استقر مجيء الرسول به فهو معصوم لا يتطرق إليه الخطأ، وما يُلقى إلى المحدَّث يقع فيه

(١) هو: عون بن وهب السوائي، تابعي من أهل الكوفة، وثقه يحي بن معين، توفي قبيل سنة عشرين ومئة. ينظر: الثقات لابن حبان (٥/ ٢٦٣)، وسير أعلام النبلاء (٩/ ١١٩).

(٢) أخرجه أحمد في المسند، ت: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، وآخرون، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت،١٤٢١هـ، حديث رقم (٨٣٧)، وقوَّى إسناده المحقق.

(٣) هو: وهب بن عبد الله السوائي الكوفي، صحابي من صغار الصحابة، كان يقال له وهب الخير، توفي بالكوفة سنة أربع وسبيعين من الهجرة. ينظر: الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع الزهري (٢٣٠هـ)، ت: إحسان عباس، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م، (٦/ ٦٣)، وسير أعلام النبلاء (٣/ ٢٠٣).

(٤) أخرجه أحمد في المسند، حديث رقم (٨٣٤)، وصحح إسناده المحقق.

(٥) أخرجه البخاري، حديث رقم (٣٦٨٩)، ومسلم، المسند الصحيح المختصر، مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت٢٦١هـ)، تحقيق مجموعة من طلبة العلم بإشراف: صالح آل الشيخ، ط٣، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢١هـ. حديث رقم (٢٣٩٨).

خطأ يحتاج إلى تقويمه بنور النبوة، ولهذا كان أبو بكر يُقوِّم عمر، ويرى أشياء ثم يتبين له الحقّ بخلافها، كما جرى له هذا في عدة مواطن"[1].

❁❁❁

المطلب الثالث

حديث خصومة الشيخين ﷺ رواية ودراية

يدرس العلماء الأحاديث النبوية من جانبين:

الأول: رواية الحديث: وهي ضبط المروي عن النبي ﷺ من الأقوال والأفعال والتقريرات والصفات وتحرير ألفاظها. والغاية من ذلك صون الحديث عن الخلل في نقله. ويندرج تحت الرواية شرح الحديث واستنباط الفوائد والدروس والأحكام والعبر منه[2].

الثاني: دراية الحديث: وهي دراسة سند الحديث ومتنه، وتمييز المقبول منه والمردود. ويسمى هذا النوع عند العلماء بأسماء أخرى كعلوم الحديث، ومصطلح الحديث، وأصول الحديث...إلخ[3].

وحديث اختصام الشيخين ﷺ أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي الدرداء ﷺ في موضعين، الأول في كتاب المناقب، باب قول النبي ﷺ: لو كنت متخذا خليلا، والآخر في كتاب التفسير، في تفسير سورة الأعراف، باب قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾

(١) درء تعارض العقل النقل، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت٧٢٨)، ت: محمد رشاد سالم، دار الكنوز الأدبية، الرياض،١٣٩١هـ (٢/ ٣٣٠).

(٢) ينظر: منهج النقد في علوم الحديث، نور الدين عتر، ط٣، دار الفكر، دمشق، ١٤١٨هـ (ص٣١).

(٣) ينظر: المصدر السابق (ص٣٢).

[الأعراف: ١٥٨]. وذكر ابن حجر(ت٨٥٢هـ) في المطالب العالية رواية ثالثة عن أبي أمامة رضي الله عنه ونسبها إلى مسند أبي يعلى، وذكر أنَّ إسنادها ضعيف(١)، ولم أجدها في المطبوع.

ولهذا سيقتصر الباحث هنا على روايتي البخاري: ففي كتاب المناقب قال أبو الدرداء رضي الله عنه: (كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ آخِذًا بِطَرَفِ ثَوْبِهِ حَتَّى أَبْدَى عَنْ رُكْبَتِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَمَّا صَاحِبُكُمْ فَقَدْ غَامَرَ. فَسَلَّمَ، وَقَالَ: إِنِّي كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِ الْخَطَّابِ شَيْءٌ، فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ ثُمَّ نَدِمْتُ فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَغْفِرَ لِي فَأَبَى عَلَيَّ، فَأَقْبَلْتُ إِلَيْكَ. فَقَالَ: يَغْفِرُ الله لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ -ثَلَاثًا-، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ نَدِمَ فَأَتَى مَنْزِلَ أَبِي بَكْرٍ فَسَأَلَ: أَثَمَّ أَبُو بَكْرٍ؟ فَقَالُوا: لَا. فَأَتَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَسَلَّمَ، فَجَعَلَ وَجْهُ النَّبِيِّ ﷺ يَتَمَعَّرُ، حَتَّى أَشْفَقَ أَبُو بَكْرٍ فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، وَالله أَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ -مَرَّتَيْنِ- فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّ الله بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ: كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقَ، وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوا لِي صَاحِبِي -مَرَّتَيْنِ- فَمَا أُوذِيَ بَعْدَهَا)(٢).

وأمَّا الرواية الأخرى في كتاب التفسير: قال أبو الدرداء رضي الله عنه: (كَانَتْ بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ مُحَاوَرَةٌ، فَأَغْضَبَ أَبُو بَكْرٍ عُمَرَ، فَانْصَرَفَ عَنْهُ عُمَرُ مُغْضَبًا، فَاتَّبَعَهُ أَبُو بَكْرٍ يَسْأَلُهُ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَهُ، فَلَمْ يَفْعَلْ حَتَّى أَغْلَقَ بَابَهُ فِي وَجْهِهِ، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ وَنَحْنُ عِنْدَهُ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: أَمَّا صَاحِبُكُمْ هَذَا فَقَدْ غَامَرَ. قَالَ: وَنَدِمَ عُمَرُ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ فَأَقْبَلَ حَتَّى سَلَّمَ وَجَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَقَصَّ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ الْخَبَرَ. قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: وَغَضِبَ رَسُولُ الله ﷺ، وَجَعَلَ أَبُو بَكْرٍ يَقُولُ: وَالله يَا رَسُولَ الله لَأَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي صَاحِبِي، هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي صَاحِبِي، إِنِّي قُلْتُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ الله إِلَيْكُمْ جَمِيعًا، فَقُلْتُمْ: كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقْتَ)(٣).

(١) ينظر: المطالب العالية، بزوائد المسانيد الثمانية، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تنسيق: سعد بن ناصر الشتري، ط١، دار العاصمة، الرياض، ١٤٢٠هـ، حديث رقم (٣٨٦٥).

(٢) حديث رقم (٣٦٦١).

(٣) حديث رقم (٤٦٤٠).

مفردات الحديث:

غامر: أي: خاصم، والمعنى: دخل في غمرة الخصومة[1].

كان بيني وبين ابن الخطاب شيء: فسَّره في الرواية الأخرى بالمحاورة وهي: مراجعة بالكلام[2].

جثا: جلس على ركبتيه للخصومة[3].

يتمعر: أي: يتغير، وأصل التمعُّر: قلَّة النضارة، فيقال: مكان أمعر، أي: مجدب[4].

المعنى الإجمالي للحديث:

يحكي هذا الحديث واقعة بين أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، حيث تراجعا أمرا فاختلفا، فأخطأ أبو بكر على عمر بالقول، ثم إنَّه ندم فطلب من عمر العفو والمسامحة فأبى عليه، فرُفع الأمر إلى النبي ﷺ، فعاتب عمر على عدم استجابته لطلب أبي بكر، وذكَّر الصحابة بفضله رضي الله عنه وعظيم منزلته في الإسلام.

❁❁❁

(١) ينظر: فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري، أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني(ت٨٥٢هـ)، تعليق: ابن باز ومحب الدين الخطيب، الدار السلفية، مصر، سنة النشر: بدون (٧/ ٢٥).

(٢) ينظر: المصدر السابق (٧/ ٢٥).

(٣) ينظر: لسان العرب (١٤/ ١٣١).

(٤) ينظر: غريب الحديث، عبدالرحمن بن علي ابن الجوزي(ت٥٩٧هـ)، ت: د.عبد المعطي أمين قلعجي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م (٢/ ٣٦٤).

المبحث الأول

القواعد العامة الحاكمة للخصومات بين الأفاضل

إنَّ من كمال الشريعة تضمنها أحكاما تدرأ المفاسد عن الناس، أو تخفف الضرر عنهم حال وقوعها، وقد حاول الباحث صياغتها على شكل قواعد فجاءت على النحو الآتي في المطالب:

المطلب الأول: وجوب الحلم وعدم الغضب:

يطلق الحلم في اللغة على: الأناة، والعقل، وضبط النفس[1]. وهذه المعاني الثلاثة ينبني بعضها على بعض، فالعاقل يضبط نفسه في العادة، ويتأنى في الأمور ولا يستعجل، وحينئذ يسلم من الزلل، ولا يقع منه إلا أن يغلبه الغضب، أو يطرأ عليه نقص في حال من الأحوال. وقد امتدح النبي ﷺ هذا الخلق الكريم في أشج عبد القيس رضي الله عنه[2] حين تأخر عن قومه فاغتسل وتهيأ لملاقاة النبي ﷺ، فقال له حينها: (إنَّ فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم، والأناة)[3].

والغضب: تغيُّر يحصل عند غليان دم القلب؛ ليحصل عنه التشفي للصدر[4].

ولما جاء رجل إلى النبي ﷺ وطلب منه الوصية قال له: (لَا تَغْضَبْ)، فردد السؤال مرارا، فكرَّر النبي عليه السلام قوله: (لَا تَغْضَب)[5].

---

(١) ينظر: تاج العروس (٣١/ ٥٢٦، ٥٢٧)، والمعجم الوسيط (١/ ١٩٥).

(٢) هو: المنذر بن عائذ، وقيل عائذ بن المنذر، وقيل: عبدالله بن عون بن المنذر بن الحارث العصري، أشج عبد القيس، كان سيد قومه لما وفدوا إلى النبي ﷺ، فأسلم ثم رجع إلى البحرين مع قومه، ثم نزل البصرة بعد ذلك. ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٥/ ٥٥٧)، وتهذيب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٤هـ، (١٠/ ٢٦٧).

(٣) أخرجه مسلم، حديث رقم (١٧).

(٤) ينظر: التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني (ت٨١٦هـ)، ت: إبراهيم الأبياري، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ (ص٢٠٩).

(٥) أخرجه البخاري، حديث رقم (٦١١٦).

وإنَّ المشروع للمسلم تسكين غضبه إذا غضب، وقد بيَّن الشرع عددا من الوسائل لذلك، منها: ذكر الله، قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾[الكهف: ٢٤]، قال عكرمة: في معناها: إذا غضبت.

ومنها: الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم؛ لأنَّ الغضب منه فيذهبه الله بالاستعاذة، قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٠٠﴾[الأعراف: ٢٠٠].

ومنها: تغيير الغاضب للحالة التي هو عليها، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال لنا رسول الله ﷺ: (إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع)[١].

❁❁❁

المطلب الثاني

الأصل أنَّ أهل الفضل لا يؤذون

لقد قرر النبي ﷺ معنى هذه القاعدة بقوله: (لَيْسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَمْ يُجِلَّ كَبِيرَنَا، وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا)[٢]. وقال: (إنَّ من إجلال الله: إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه[٣] والجافي عنه[٤]، وإكرام ذي السلطان المقسط)[٥].

فأهل الفضل من المسلمين[٦] حقُّهم التوقير والإكرام لا الإيذاء، فإن كان إيذاؤهم لأجل دينهم فهذا أشد خطرا على المؤذي؛ لأنَّه بإيذائه لهم قد استشرف للحرب من الله تعالى كما ثبت في الحديث القدسي أنَّ الله تعالى يقول: (مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ)[٧].

---

(١) أخرجه أبو داود، حديث رقم (٤٧٨٢)، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه أحمد في المسند، حديث رقم(٢٢٧٥٥)، وصححه المحقق.

(٣) الغالي: من الغلو، هو: التشدد ومجاوزة الحد المشروع فيه. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر(ص٦٧٧).

(٤) الجافي: من الجفاء، وهو: ترك الصلة والبر. ينظر: المصدر السابق (ص١٥٧).

(٥) أخرجه أبو داود، حديث رقم (٤٨٤٣)، وحسَّنه الألباني.

(٦) مرَّ فيما سبق بيان صفات أهل الفضل من المسلمين، وهي: الدين والتقوى، مع كبر السنِّ أو عظم المنزلة.

(٧) أخرجه البخاري، حديث رقم (٦٥٠٢).

المطلب الثالث

لا يقدح في الفاضل وقوع الخطأ منه

إنَّ أفضل أمَّة محمد ﷺ بعد نبيها: أبو بكر، ثم عمر، ومع هذا فليسا بمعصومين، ولكنَّ خطأهما قليل، وأكثر ما يصدر عنهما صواب موافق للحق، قال ابن تيمية رحمه الله: "إنَّ أهل العلم متفقون على أنَّ أبا بكر وعمر أعلم من سائر الصحابة، وأعظم طاعة لله ورسوله من سائرهم، وأولى بمعرفة الحقِّ واتِّباعه منهم، وقد ثبت بالنقل المتواتر الصحيح عن النبي ﷺ أنَّه قال: (خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، ثم عمر)[1]، روي ذلك عنه من نحو ثمانين وجهًا. وقال علي رضي الله عنه: لا أوتى بأحد يفضِّلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته حدَّ المفتري. والأقوال المأثورة عن عثمان وعلي وغيرهما من الصحابة كثيرة؛ بل أبو بكر الصديق لا يُحفظ له فتيا أفتى فيها بخلاف نص النبي ﷺ"[2].

فالمسلم مهما بلغ من الفضل فلن يخرج عن بشريته غير المعصومة، فهو عُرضة لوقوع الخطأ منه، بل والمعصية أيضا، أو على أقل الأحوال تقع منه مخالفة الأولى في أقواله وأفعاله، وقد قرَّر النبي ﷺ هذا حين قال فيما رواه أنس رضي الله عنه: (كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون)[3].

فينبغي أن يُحفظ لأهل الفضل مكانتهم ومنزلتهم وإن وقع منهم الخطأ، وأن تُلتمس لهم الأعذار حسب المستطاع.

❁❁❁

(١) سبق تخريجه ص٧.

(٢) ينظر: الفتاوى الكبرى، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (ت٧٢٨هـ)، ت: حسنين محمد مخلوف، ط١، دار المعرفة، بيروت، ١٣٨٦ه (٣/ ٤٨٧).

(٣) أخرجه الترمذي، حديث رقم(٢٤٩٩)، وحسَّنه الألباني.

المطلب الرابع

الفضل بقدر السابقة

السابقة: ما يُسبق إليه من الفعال الحسنة، فيقال: صاحب السابقة، أي: الذي سبق غيره إلى الفعل الحسن، وتسمى: القُدْمَة والقَدَمُ، ومنها قول الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ﴾[يونس: ٢][1].

وقد أرسى النبي ﷺ دعائم فضيلة أبي بكر على سائر الصحابة لسابقته إلى الإسلام، والتصديق بالنبوة، والمواساة بالمال والنفس، فقال: (إِنَّ الله بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ: كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقَ، وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ).

وتوقير أهل السابقة منهج ديني صحيح يستند إلى جملة من النصوص والمواقف، ومن ذلك أنَّ الله تعالى لما غضب على يونس عليه السلام لخروجه مغاضبا قومه من غير إذن الله له، فاقتضت حكمة الله سبحانه أن يلتقمه الحوت، ثم نجَّاه الله تعالى بعد ذلك لسابقته في الإيمان والعبادة والتسبيح فقال ﷻ: ﴿فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٞ ١٤٢ فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ١٤٣ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٤٤﴾[الصافات: ١٤٢ – ١٤٤].

وقد عفا النبي ﷺ عن حاطب بن أبي بَلْتَعَة رضي الله عنه[2] في كتابه الذي أرسله إلى أهل مكة مقدمه للفتح، وأفصح عن سبب العفو أنَّه سابقته في الإسلام والجهاد وحضور بدر مقاتلا في

(١) ينظر: كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت١٧٠هـ)، ت: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، ط:بدون، دار ومكتبة الهلال، سنة النشر: بدون (٥/ ١٢٢)، والمعجم الوسيط(١/ ٤١٤).

(٢) هو: حاطب بن أبي بَلْتَعَة بن عمرو اللخمي، حليف بني أسد بن عبد العزى، وقيل كان مولى لعبيدالله بن حميد فكاتبه فأدى كتابه وعُتق، صحابي، شهد بدرا، وهو صاحب الكتاب المشهور الذي أرسله إلى أهل مكة ينبئهم بمسير رسول الله ﷺ إليهم في الفتح، توفي سنة ثلاثين من الهجرة. ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/ ١١٤)، والإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، ت: علي محمد البجاوي، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ، (٢/ ٤).

صفوف المؤمنين "فإنَّ النبي ﷺ لم يهجر حاطبا ولا عاقبه وقد جَسَّ عليه، وقال لعمر لما همَّ بقتله: (وما يدريك لعلَّ الله اطَّلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)"[1][2].

وثبت عنه ﷺ أنَّه قال: (إذا أتاكم كريم قوم، فأكرموه)[3]. وكان عليه السلام ممتثلا لهذا، فقد كان جرير بن عبد الله البجلي سيدا في قومه، عاقلا، حليما، جميل الصورة، وكان النبي ﷺ يكرمه ويوصي بإكرامه، وقد أخبر أصحابه عنه قبل دخوله عليهم احتفاء به. قال جرير: لما دنوت من المدينة أنخت راحلتي، ثم حللت عيبتي، ثم لبست حُلتي، ثم دخلت، فإذا رسول الله ﷺ يخطب، فرماني الناس بالحدق، فقلت لجليسي: يا عبد الله، ذكرني رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، ذكرك آنفا بأحسن ذكر، فبينا هو يخطب إذ عرض له في خطبته وقال: (يدخل عليكم من هذا الباب، أو من هذا الفج، من خير ذي يمن، إلا أنَّ على وجهه مَسحة مَلَك)[4].

وكان ﷺ فيما بعد يكرمه ويجلُّه، فعن أنس بن مالك قال: كنَّا عند النبي ﷺ، فأقبل جرير بن عبد الله، فضنَّ الناس بمجالسهم فلم يوسِّع له أحد. فرمى إليه رسول الله ﷺ ببردة كانت معه، حباه بها، وقال: (دونكها يا أبا عمرو فاجلس عليها). فتلقاها بصدره ونحره، وقال: أكرمك الله يا رسول الله كما أكرمتني[5].

ثم امتدَّ هذا الإكرام لذريته من بعده، حيث دخل جرير بن يزيد بن جرير البجلي[6] على

(١) أخرجه مسلم، حديث رقم(٢٤٩٤).

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، ت: شعيب الأرناؤوط – عبد القادر الأرناؤوط، ط١٤، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٧هـ (٣/ ٥٠١).

(٣) أخرجه ابن ماجه، سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد ابن ماجه القزويني (ت٢٧٣هـ)، تعليق وأحكام محمد ناصر الدين الألباني، ط٢، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٢٩هـ، حديث رقم (٣٧١٢)، وحسَّنه الألباني.

(٤) أخرجه أحمد في المسند، حديث رقم(١٩١٨٠)، وصححه المحقق.

(٥) ينظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٣٢).

(٦) هو: جرير بن يزيد البجلي، قال أبو زرعة عنه: شامي، منكر الحديث. وقال ابن حجر: ذكره بن حبان في الثقات. ينظر: ميزان الاعتدال، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي(ت٧٤٨هـ)، ت: علي محمد البجاوي، ط: بدون، دار المعرفة، بيروت، سنة النشر: بدون، (١/ ٣٩٧)، وتهذيب التهذيب(٢/ ٦٦).

الإمام الشعبي رحمه الله[1]، فدعا له الشعبي بوسادة. فقال له الناس: حولك أشياخ، وجاء هذا الغلام فدعوت له بوسادة؟! قال: نعم، إنَّ رسول الله ﷺ ألقى لجدِّه وسادة، وقال: إذا أتاكم كريم قوم، فأكرموه[2].

وقد استقر هذا منهجا لأهل السنة والجماعة، فيفاضلون بين الصحابة رضي الله عنهم بحسب سابقتهم إلى الإسلام، فأفضلهم السابقون الأولون من المهاجرين، ثم الأولون من الأنصار، ثم أهل بدر، ثم أهل أحد، ثم أهل الثبات في غزوة الأحزاب التي نجم فيها النفاق، ثم بيعة الرضوان، ثم من هاجر من قبل الفتح وقاتل أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا، وكلا وعد الله الحسنى[3].

❁❁❁

المطلب الخامس

تنوع القربات يزيد في الفضيلة

إنَّ التقرب إلى الله تعالى مقصد كل عبادة صحيحة، وكلَّما كان العبد مكثرا من العبادة منوعا في القربات والطاعات، لا يدع بابا للخير إلا رمى فيه بسهم كان أعظم فضلا وأعلى منزلة، وهذا الذي امتاز به أبو بكر رضي الله عنه عن سائر الصحابة الكرام، فلقد آمن وصدَّق ووضع ماله في خدمة الإسلام، وضحى بنفسه مع رسول الله ﷺ.

(١) هو: عامر بن شراحيل بن عبد الشعبي، تابعي ثقة، ولد في خلافة عمر، وروى عن جمع من الصحابة رضي الله عنهم، وكان إماما حافظا فقيها متفننا ثبتا متقنا على دعابة فيه، وتوفي سنة تسع ومئة على الأرجح. ينظر: الثقات لابن حبان (٥/ ١٨٥)، وتهذيب التهذيب (٥/ ٥٧)

(٢) ينظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٠٩).

(٣) ينظر: معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ بن أحمد حكمي (ت١٣٧٧هـ)، ت: عمر بن محمود، ط١، دار ابن القيم، الدمام، ١٤١٠هـ (٣/ ١١٩٦).

ومما نقل من أعماله الفاضلة رضي الله عنه أنَّه كان ينفق ماله في وجوه البر تقربا إلى الله تعالى فقد حرر عددا من الأرقاء من المسلمين، فأعتق بلال بن رباح، وعامر بن فهيرة[1] وغيرهما[2].

وكان لا يدَّخر من ماله شيئا إذا دُعي للإنفاق، فقد أراد عمر بن الخطاب يوما أن يسبق أبا بكر في الصدقة فلم يفلح، قال رضي الله عنه: أمرنا رسول الله ﷺ يوما أن نتصدق، فوافق ذلك مالا عندي، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوما. فجئت بنصف مالي، فقال لي رسول الله ﷺ: (ما أبقيت لأهلك؟)، فقلت: مثله، قال: وأتى أبو بكر رضي الله عنه بكل ما عنده، فقال له رسول الله ﷺ: (ما أبقيت لأهلك؟). قال: أبقيت لهم الله ورسوله. قلت: لا أسابقك إلى شيء أبدا[3].

بل كان أبو بكر رضي الله عنه يسابق في كل ميدان فيسبق الناس، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من أصبح منكم اليوم صائما؟ قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا. قال: فمن تبع منكم اليوم جنازة؟ قال: أبو بكر رضي الله عنه: أنا. قال: فمن أطعم منكم اليوم مسكينا؟ قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا. قال: فمن عاد منكم اليوم مريضا؟ قال: أبو بكر رضي الله عنه: أنا. فقال رسول الله ﷺ: ما اجتمعن في أمريء إلا دخل الجنة)[4].

وهكذا نرى أنَّ كثرة أعمال البر مع الإيمان والتقوى قدَّمت أبا بكر على عمر، مع أنَّهما أفضل أمة محمد بعد نبيها ﷺ.

❁❁❁

(١) هو: عامر بن فهيرة الأزدي، مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، صحابي، كان مع النبي ﷺ وأبي بكر في الهجرة إلى المدينة، وكان رجلا صالحا حسن الإسلام، قتل في واقعة بئر معونة. ينظر: الثقات لابن حبان٣/ ٢٩٢)، والإصابة في تمييز الصحابة (٣/ ٥٩٤).

(٢) ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٨/ ٢٥٧).

(٣) أخرجه أبو داود، حديث رقم (١٦٧٨)، وحسَّنه الألباني.

(٤) أخرجه مسلم، حديث رقم (١٠٢٨).

المطلب السادس

الأولى أن تكون شكوى الأفاضل إلى الفضلاء من أهل العلم

إنَّ الشكوى لأجل دفع الضرر، أو لرفع الظلم أمر مشروع في الإسلام، وهو من المواطن التي أباح الله فيها الجهر بالقول السيء إذا احتاج المسلم لذلك، قال تعالى: ﴿۞لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾﴾[النساء: ١٤٨].

والمعنى: أن من قصَّر في أداء ما وجب عليه من الحقوق يُخبَر عنه بالتقصير الذي فعله حتى يؤدِّي ما عليه[1]، وهذا ما وقع في خصومة الشيخين رضي الله عنهما، فإنَّ أبا بكر أخطأ فأقرَّ بخطئه وطلب العفو والمسامحة فلم يؤدِّها عمر، فشكاه للنبي ﷺ.

ومن هنا نعلم أنَّ الأولى للأفاضل توسيط إخوانهم من أهل الفضل والعلم والدين؛ لينظروا فيما وقع بينهم ويبينوا للمخطئ خطأه؛ ليصلح الأمر، فيؤدِّي الحقَّ الذي عليه، أو تقع المصالحة والعفو والمسامحة، ولا يطَّلع غيرهم على ما يقع بينهم.

❁❁❁

المطلب السابع

الشفقة والرحمة بين المتخاصمين

الشفقة: رحمة ورقَّة وخوف من حلول مكروه[2]. فالشفقة رحمة إلا أنَّ الباعث عليها الخوف من وقوع المكروه.

وقد أشفق أبو بكر رضي الله عنه على صاحبه من غضب رسول الله ﷺ مما سمع، جاء في الرواية الأولى: (فَجَعَلَ وَجْهُ النَّبِيِّ ﷺ يَتَمَعَّرُ حَتَّى أَشْفَقَ أَبُو بَكْرٍ فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، وَالله أَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ)، وفي الأخرى: (وَغَضِبَ رَسُولُ الله ﷺ، وَجَعَلَ أَبُو بَكْرٍ يَقُولُ: وَالله يَا رَسُولَ الله لَأَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ). وفي هذا دليل على أنَّ وقوع الخصومة لا ينزع الشفقة والرحمة من

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير (ت٧٧٤هـ)، ت: سامي بن محمد سلامة، ط٢، دار طيبة، الرياض، ١٤٢٠هـ (٢/ ٤٤٤).

(٢) ينظر: لسان العرب (١٠/ ١٧٩)، وتاج العروس (٢٥/ ٥٠٨)، والتعريفات (ص١٦٨).

قلوب المؤمنين على بعضهم، فرابطة الإيمان والأخوة الدينية لا يقطعها بين المسلمين إلا الردة عن الإسلام، أمَّا ماعداها فلا يجوز بحال أن تورث الحقد والتشفي والفرح بوقوع المصائب وحصول الأذى للأطراف الأخرى.

❁❁❁

المبحث الثاني

آداب الأفاضل المتخاصمين

نستنبط من حديث خصومة الشيخين ﷺ عددا من الآداب التي ينبغي مراعاتها، وبيانها في المطالب الآتية:

المطلب الأول

إنَّ الفاضل لا ينبغي له أن يغاضب من هو أفضل منه

إنَّ الأولى بكل فاضل أن لا يغاضب من هو أفضل منه، فعمر بن الخطاب ﷺ لا يُنكَر فضله في الإسلام، ومع هذا غضب منه النبي ﷺ لـمَّا غاضب أبا بكر، ففي الرواية الأولى وصف أبو الدرداء ﷺ حال النبي ﷺ فقال: (فَجَعَلَ وَجْهُ النَّبِيِّ ﷺ يَتَمَعَّرُ)، وفي الأخرى حكى حاله فقال: (وَغَضِبَ رَسُولُ الله ﷺ)، هذا مع اعتراف أبي بكر ﷺ بأنَّه المخطيء.

فأهل الفضل تمحى زلتهم وتمحى خطيئتهم، محبتة لهم وإكراما لسابقتهم ومنزلتهم.

❁❁❁

المطلب الثاني

الاعتراف بالخطأ إذا وقع

لقد اعترف أبو بكر ﷺ بخطئه أمام النبي ﷺ وعلى نظر وسمع من كان حاضرا من الصحابة، وبيَّن أنَّه المعتدي على عمر، ففي الرواية الأولى قال مخبرا: (إِنِّي كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِ الْخَطَّابِ شَيْءٌ فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ ثُمَّ نَدِمْتُ)، وفي الرواية الثانية يؤكد صدور الخطأ منه، ويقسم على ذلك بقوله: (وَالله يَا رَسُولَ الله لَأَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ).

وإنَّ مثل هذا التصرف-أعني الاعتراف بالخطأ- لا يقدر عليه إلا أفذاذ الناس وفضلاؤهم، فهم كبار في الدين والمنزلة والخلق الكريم.

❁❁❁

المطلب الثالث

سرعة الفيئة للحق والاعتذار عن الخطأ أمارة الفضل

إنَّ العودة للحق أمارة كمال الإيمان، والاعتذار عن الخطأ دليل حسن الخلق وكرم السجايا والخصال، ولهذا جاء في الحديث أنَّ أبا بكر رضي الله عنه، قال:(فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ، ثُمَّ نَدِمْتُ فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَغْفِرَ لِي)، وفي الرواية الأخرى قال أبو الدرداء رضي الله عنه: (فَاتَّبَعَهُ أَبُو بَكْرٍ يَسْأَلُهُ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَهُ)، وهكذا ينبغي لمن وقع منه خطأ على أحد أن يرجع للحق، ويبادر لطلب العفو والمسامحة من صاحبه.

❁❁❁

المطلب الرابع

قبول الاعتذار فضيلة

إنَّ من مكارم الأخلاق أن يقبل المسلم اعتذار أخية إذا اعتذر، وأن يقيل عثرته، ويقدم الصلة معه على القطيعة، والود والمحبة على البغض والجفاء، فينال الأجر والثواب من الله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾[الشورى: ٤٠].

ولقد كان النبي ﷺ من أشدِّ الناس قبولا لعذر المعتذر، ومن ذلك أنَّه قبل اعتذار المنافقين لـمَّا تخلَّفوا عن غزوة تبوك، فقبل ظاهرهم ووكل سرائرهم إلى الله، إلا الثلاثة الذين أرجأهم لحكمة يريدها الله. وقبل ﷺ اعتذار هبار بن الأسود[1] لما جاءه مسلما معتذرا عن مواقفه منه ومن المسلمين، قال جبير بن مطعم رضي الله عنه:[2] كنت جالسا مع رسول الله ﷺ منصرفه من الجعرانة، فاطَّلع هبار بن الأسود من باب رسول الله ﷺ فقال: السلام عليك يا نبي الله، أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أنَّ محمدا رسول الله، ولقد هربت منك في البلاد، وأردت

(١) هو: هبار بن الأسود بن المطلب القرشي الأسدي، كان سبابا، يسب النبي ﷺ والمسلمين فأهدر النبي ﷺ دمه، ولكن الله سلَّمه فأسلم عام الفتح وحسن إسلامه. مات في خلافة عمر. ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٦/ ٥٢٤).

(٢) هو: جبير بن مطعم بن عدى القرشي، صحابي، أسلم يوم الفتح، ومات سنة تسع وخمسين. ينظر: الثقات لابن حبان (٣/ ٥٠)، والإصابة في تمييز الصحابة (١/ ٤٦٢).

اللحاق بالأعاجم، ثم ذكرت عائدتك وصلتك وصفحك عمَّن جهل عليك، وكنَّا يا نبي الله أهل شرك فهدانا الله بك وأنقذنا من الهلكة، فاصفح عن جهلي وعمَّا كان يبلغك عني، فانِّي مُقرٌّ بسوء فعلي معترف بذنبي. فصفح عنه النبي ﷺ[1].

وكان الحسن بن علي رضي الله عنه يقول: لو أنَّ رجلاً شتمني في أذني هذه واعتذر إليَّ في الأخرى لقبلت عذره. وقال الأحنف بن قيس: إن اعتذر إليك معتذر تلقَّه بالبشر.

قيلَ لي قَد أَسى عَلَيكَ فُلانٌ وَمُقامُ الفَتى عَلى الذُلِّ عارُ

قُلتُ قَد جاءَني وَأَحدَثَ عُذراً وَدِيَةُ الذَنبِ عِندَنا الإِعتِذارُ[2]

وقال هلال بن العلاء الباهلي:

اِقْبَلْ مَعَاذِيْرَ مَنْ يَأْتِيْكَ مُعْتَذِراً إِنْ بَـرَّ عِنْدَكَ فِيمَا قَـالَ أَوْ فَـجَرَا

فَقَدْ أَطَاعَكَ مَنْ أَرْضَاكَ ظَاهِرُهُ وَقَدْ أَجَلَّكَ مَنْ يَعْصِيْكَ مُسْتَتِرَا[3]

❁❁❁

المطلب الخامس

المخطئ يتكلَّف للاعتذار

إنَّ مما ينبغي للمخطئ -وإن كان فاضلا- أن يعتذر ممن أخطأ عليه، حتى لو لزم الأمر أن يتكلَّف لذلك، فهذا أبو بكر رضي الله عنه لـمَّا أخطأ لم يكتف بإبداء الأسف؛ وإنَّما تبع عمر إلى بيته، فلم يقطع اعتذاره إلا إغلاق عمر لبابه في وجهه، قال أبو الدرداء رضي الله عنه: (فَاتَّبَعَهُ أَبُو بَكْرٍ يَسْأَلُهُ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَهُ فَلَمْ يَفْعَلْ حَتَّى أَغْلَقَ بَابَهُ فِي وَجْهِهِ).

❁❁❁

(١) ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة(٦/ ٥٢٦، ٥٢٧).

(٢) ينظر: الآداب الشرعية والمنح المرعية، محمد بن مفلح المقدسي(ت٧٦٣هـ)، ت: شعيب الأرناؤوط، وعمر القيام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٧هـ (١/ ٣١٩).

(٣) ينظر: سير أعلام النبلاء(١٣/ ٣٠٩).

المطلب السادس

المبادر لاسترضاء أهل الفضل فضيلة

لا ينبغي دوام الخلاف بين أهل الفضل، بل المتعين الذي يليق بهم أن يبادر كل طرف لاسترضاء صاحبه، فهذه أمارة الفضل، فلقد بادر أبو بكر رضي الله عنه لاسترضاء صاحبه حين أخطأ عليه كما مرَّ معنا، فامتنع أول الأمر ثم ما لبث أن ندم، فقد جاء في الرواية الأولى: (ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ نَدِمَ، فَأَتَى مَنْزِلَ أَبِي بَكْرٍ فَسَأَلَ: أَثَّمَ أَبُو بَكْرٍ؟ فَقَالُوا: لَا. فَأَتَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ)، وفي الأخرى: (وَنَدِمَ عُمَرُ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ فَأَقْبَلَ حَتَّى سَلَّمَ وَجَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ). وهذا هو الذي ينبغي أن يكون عليه الأفاضل، فإنَّ المبادرة لإصلاح مافسد من العلاقات مع إخوانهم هو عين الحكمة ومقتضى العقل.

❁❁❁

المبحث الثالث

الأحكام الفقهية المتعلقة بالخصومة بين الأفاضل

يمكن أن نستنبط من حديث اختصام أبي بكر وعمر رضي الله عنهما بروايتيه عدة أحكام فقهية، ولكن سيقتصر الباحث هنا على الأحكام المتعلقة بالخصومة دون غيرها، حتى لا يخرج البحث عن مقصوده، ومن أبرز تلك الأحكام مايأتي:

المطلب الأول

جواز غيبة أحد المتخاصمين صاحبه للحاجة

بيَّن النبي ﷺ معنى الغيبة بقوله: (ذكرك أخاك بما يكره) (١). وقد حرَّم الله تعالى هذا الفعل بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾[الحجرات: ١٢].

وإنَّ الاختصام والشكوى لابد أن يوقعا أحد المتخاصمين في غيبة صاحبه، ولأنَّ هذا مما لا يمكن التحرز منه، ولأنَّ المصلحة المترتبة عليه من أعادة الحقوق ونصرة المظلوم وكفِّ يد الظالم أعظم من مصلحة المحافظة على العرض وصيانته؛ أباح الإسلام منها ما يفي بالغرض ويبين الواقعة ويجلي الموقف للحَكَم، وقد نصَّ العلماء على جواز ذلك، قال النووي رحمه الله (ت ٦٧٦هـ): "اعلم أنَّ الغيبةَ وإن كانت محرّمة فإنَّها تُباح في أحوالٍ للمصلحة، والمُجوِّزُ لها غرض صحيح شرعي لا يمكن الوصولُ إليه إلا بها، وهو أحد ستة أسباب: الأوّل: التظلم، فيجوز للمظلوم أن يتظلَّم إلى السلطان والقاضي وغيرهما ممّن له ولاية أو له قدرة على إنصافه من ظالمه، فيذكرُ أنَّ فلاناً ظلمني، وفعل بي كذا، وأخذ لي كذا، ونحو ذلك...إلخ"(٢).

❁❁❁

(١) أخرجه مسلم، حديث رقم(٢٥٨٩).

(٢) الأذكار من كلام سيد الأبرار، يحيى بن شرف النووي(ت٦٧٦هـ)، ت: عبدالقادر الأرناؤوط، مطبعة الملاح، دمشق، ١٣٩١هـ (ص٢٩٢).

المطلب الثاني

جواز حلف اليمين عند الخصومة

الحِلْف والحَلِف: القسم واليمين[1].

وقد أباح الإسلام للمسلم أن يقسم اليمين متى احتاج لذلك، شريطة أن يكون قسمه بالله تعالى أو اسم من أسمائه أو صفة من صفاته، فقال النبي ﷺ: (مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِالله أَوْ لِيَصْمُتْ)[2]، وعليه فقد أقسم أبو بكر رضي الله عنه أمام النبي ﷺ مؤكدا خطأه على عمر، فقال: (وَالله أَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ، وَالله أَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ)، فلو كان حلفه لا يجوز لأنكر عليه النبي ﷺ ذلك؛ لأنَّ تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز من النبي ﷺ، فلمَّا لم يُنكر عليه دلَّ ذلك على جوازه.

❁❁❁

المطلب الثالث

جواز مدح الفاضل في وجهه بما هو فيه

ورد في السنة أحاديث تمنع مدح الإنسان في وجهه، منها ما أخرجه مسلم عن همام بن الحارث[3] أنَّ رجلا جعل يمدح عثمان بن عفان في وجهه، فعمد المقداد بن الأسود رضي الله عنه[4] فجثا على ركبتيه، فجعل يحثو في وجهه الحصباء. فقال له عثمان: ما شأنك؟ فقال: إنَّ رسول الله ﷺ قال: (إذا رأيتم المدَّاحين فاحثوا في وجوههم التراب)[5]. وسمع النبي ﷺ رجلا يمدح رجلا

(١) ينظر: لسان العرب (٩/ ٥٨).

(٢) أخرجه البخاري، حديث رقم (٢٦٧٩).

(٣) هو: همام بن الحارث بن قيس النخعي الكوفي العابد، تابعي ثقة، روى عن جمع من الصحابة، وتوفي سنة ثلاث وستين من الهجرة. ينظر: الثقات لابن حبان (٥/ ٥١٠) وتهذيب التهذيب (١١٥٨).

(٤) هو: المقداد بن عمرو بن ثعلبة الكندي، صحابي يكنى أبا معبد. كان قد حالف الأسود بن عبد يغوث الزهري في الجاهلية فتبناه، فكان يقال له المقداد بن الأسود حتى نزل تحريم التبني. وكان من المهاجرين إلى الحبشة في الهجرة الثانية، وشهد بدرا والمشاهد كلها مع النبي ﷺ، وكان من الرماة المعدودين، مات سنة ثلاث وثلاثين ودفن بالبقيع. ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/ ١٦٣)، والإصابة في تمييز الصحابة(٦/ ٢٠٢).

(٥) حديث رقم (٣٠٠٢).

ويطريه فقال:(أَهْلَكْتُمْ، أَوْ قَطَعْتُمْ ظَهَرَ الرَّجُلِ)[1]. فهذه الأحاديث وأضرابها تمنع المدح في وجه الممدوح كما هو ظاهر.

وفي المقابل وردت أحاديث أخرى تبيح ذلك، منها ثناء النبي ﷺ على عدد من أصحابه، كأبي بكر في هذا الحديث الذي ندرسه، حيث جاء في الرواية الأولى قوله ﷺ: (إِنَّ الله بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ: كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقَ. وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ)، وفي الرواية الأخرى: (إِنِّي قُلْتُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ الله إِلَيْكُمْ جَمِيعًا، فَقُلْتُمْ: كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقْتَ).

وكذلك ثناؤه على أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم حين خاطب جبل أحد بقوله: (اثْبُتْ أُحُدُ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَان)[2].

فظاهر هذه الأحاديث التعارض، ومن هنا كان لا بد من الجمع بين هذه الأحاديث إن أمكن ذلك، وممن جمع بينها الإمام النووي رحمه الله(ت ٦٧٦هـ) بقوله: "اعلم أنَّ مدح الإِنسان والثناءَ عليه بجميل صفاته قد يكون في وجه الممدوح، وقد يكون بغير حضوره، فأمَّا الذي في غير حضورِه فلا منعَ منه إلا أن يُجازف المادحُ ويدخل في الكذب، فيحرُم عليه بسبب الكذب لا لكونه مدحاً، ويُستحبُّ هذا المدح الذي لا كذبَ فيه إذا ترتَّب عليه مصلحةٌ ولم يجرَّ إلى مفسدة، بأن يبلغَ الممدوحَ فيفتتن به، أو غير ذلك.

وأمَّا المدحُ في وجه الممدوح فقد جاءت فيه أحاديث تقتضي إباحتَه أو استحبابه، وأحاديث تقتضي المنع منه. قال العلماء: وطريق الجمع بين الأحاديث أن يُقال: إن كان الممدوحُ عنده كمالُ إيمان وحسنُ يقين ورياضةُ نفس ومعرفةٌ تامة بحيث لا يفتتن ولا يغترّ بذلك ولا تلعبُ به نفسُه فليس بحرام ولا مكروه، وإن خيف عليه شيءٌ من هذه الأمور كُرِهَ مدحُه كراهةً شديدة"[3].

❁❁❁

(١) أخرجه البخاري، حديث رقم (٢٦٦٣).

(٢) أخرجه البخاري، حديث رقم (٣٦٧٥).

(٣) الأذكار(ص٢٣٦).

المطلب الرابع

جواز إظهار الغضب لأحد المتخاصمين

أظهر النبي ﷺ الغضب في وجه عمر بن الخطاب ﷺ، ففي الرواية الأولى: (فَأَتَى -يعني عمر- إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَسَلَّمَ، فَجَعَلَ وَجْهُ النَّبِيِّ ﷺ يَتَمَعَّرُ)، وفي الأخرى يقول أبو الدرداء ﷺ: (وَغَضِبَ رَسُولُ الله ﷺ)، وفي هذا دليل على جوازه شرعا، وإلا لما فعله ﷺ.

❁❁❁

المطلب الخامس

وجوب إمساك الناس عن التدخل في الخصومة بين الأفاضل

إنَّ الذي ينبغي عند اختصام الأفاضل ألا يتدخل في النزاع والخصومة إلا من كان في منزلتهم؛ لأنَّ تدخل غيرهم من عامة الناس يزيد شقة الخلاف، ويدعو لتطاول العامة على الأفاضل والأخيار، وينتج عنه الانقسام وربما الاحتراب الداخلي في المجتمع المسلم.

فلا ينبغي تدخل عامة الناس فيما يقع بين كبرائهم وأهل الفضل من النزاع، بل الإمساك والكفُّ عن ذلك هو المتعين، وقد استُنبط هذا من موقف من كان حاضر الواقعة من الصحابة الكرام ﷺ، فإنَّا لم نجد أحدا منهم شارك برأي أو كلمة، حتى راوي الحديث نفسه، مع فضله وحكمته ﷺ[1].

❁❁❁

(١) كان أبو الدرداء ﷺ يوصف بحكيم أمة محمد ﷺ. ينظر: سير أعلام النبلاء(٢/ ٣٣٥).

الخاتمة

اشتمل البحث على عدد من النتائج والتوصيات، وهي على النحو الآتي:

أهم النتائج:

١. أنَّ وقوع الخصومة بين الأفاضل دليل غلبة طبيعتهم البشرية، فلا ينقص ذلك من فضلهم، ولا يُبيح أعراضهم للشماتة بهم.

٢. أنَّ الغضب أصل تنشأ عنه الخصومات ويقع بسببه الاعتداء اللفظي والجسدي، وربما يؤدي للقتل أو مادونه من الجنايات، ومن هنا ندرك عظمة التشريع لما نهى عنه.

٣. أنَّ طاعة المسلم لله ورسوله، وكثرة قرباته ومسارعته في الخيرات هي التي تقدِّمه على غيره من المسلمين في المنزلة الدينية والدنيوية.

٤. أنَّه كلَّما تجرد الإنسان من حظوظ النفس استطاع ضبط تصرفاته وتغلَّب على هواه، فنتج عن ذلك صدقه وإنصافه للآخرين، وسرعة فيئته للحق والمبادرة للاعتذار عن الخطأ، وقبول عذر من يعتذر إليه.

أبرز التوصيات:

١. ينبغي للأفاضل أن يتوقَّوا الخصومة مع بعضهم قدر الإمكان؛ لأنَّهم رأس الناس وقدوتهم، والناس تبع لهم، يقتدون بهم ويقلِّدونهم في أقوالهم وأفعالهم.

٢. ينبغي أن يكون أسلوب التعامل مع خصومات الأفاضل مختلفا عن غيرهم، فغيرهم يمكن أن يتخاصمون إلى الشرط والمحاكم وغيرها، أمَّا الأفاضل فينبغي ألا يتحاكموا إلا إلى الفضلاء أمثالهم، بادئ الأمر، فإن تمَّ الاتفاق والصلح وإلا فلهم بعد ذلك التخاصم إلى القضاء ليفصل بينهم بالعدل.

٣. ينبغي أن تبنى جميع العلاقات الاجتماعية بين المسلمين على المودة والرحمة فالراحمون يرحمهم الرحمن.

فهرس المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. الآداب الشرعية والمنح المرعية، محمد بن مفلح المقدسي(ت٧٦٣هـ)، ت: شعيب الأرناؤوط، وعمر القيام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٧هـ.

٣. الأذكار من كلام سيد الأبرار، يحيى بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ)، ت: عبد القادر الأرناؤوط، مطبعة الملاح، دمشق، ١٣٩١هـ.

٤. الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، ت: علي محمد البجاوي، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ.

٥. تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد المرتضى الزَّبيدي (ت١٢٠٥هـ)، ت: مجموعة من المحققين، ط: بدون، دار الهداية، مكان النشر وسنته: بدون.

٦. تذكرة الحفاظ، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت٧٤٨هـ)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ.

٧. ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القاضي عياض اليحصبي (٥٤٤هـ)، ت: سعيد أحمد أعراب، ط: بدون، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ١٤٠٢هـ.

٨. ترميز كتب الحديث، د. محمد بن سليمان الأشقر، مجلة الحكمة، العدد١٠، السعودية، ١٤١٥هـ.

٩. التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني (ت٨١٦هـ)، ت: إبراهيم الإبياري، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.

١٠. تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير (ت٧٧٤هـ)، ت: سامي بن محمد سلامة، ط٢، دار طيبة، الرياض، ١٤٢٠هـ.

١١. تهذيب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٤ه.

١٢. الثقات، محمد بن حبان بن أحمد البستي (٣٥٤هـ)، ت: السيد شرف الدين أحمد، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٥هـ.

١٣. الجامع المسند الصحيح المختصر(صحيح البخاري)، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق مجموعة من طلبة العلم بإشراف: صالح آل الشيخ، ط٣، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢١هـ.

١٤. درء تعارض العقل والنقل، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت٧٢٨)، ت: محمد رشاد سالم، دار الكنوز الأدبية، الرياض،١٣٩١هـ.

١٥. الذيل على طبقات الحنابلة، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب (٧٩٥هـ)، ت: عبد الرحمن العثيمين، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤٢٥هـ.

١٦. زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، ت: شعيب الأرناؤوط – عبد القادر الأرناؤوط، ط١٤، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٧هـ.

١٧. السنة، عبد الله بن أحمد بن حنبل الشيباني (ت٢٩٠هـ)، ت: د. محمد سعيد سالم القحطاني، ط١، دار ابن القيم، الدمام، ١٤٠٦هـ.

١٨. السنة، عمرو بن أبي عاصم الضحاك الشيباني (ت٢٨٧هـ)، ت: محمد ناصر الدين الألباني، ط١، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٠هـ.

١٩. سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد ابن ماجه القزويني (ت٢٧٣هـ)، تعليق وأحكام: محمد ناصر الدين الألباني، ط٢، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٢٩هـ.

٢٠. سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت٢٧٥هـ)، تعليق وأحكام: محمد ناصر الدين الألباني، ط٢، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٢٩هـ.

٢١. سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي(ت٢٧٩هـ)، تعليق وأحكام: محمد ناصر الدين الألباني، ط٢، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٢٩هـ.

٢٢. سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت٧٤٨هـ)، ت: مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٢٣. طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي

(٧٧١هـ)، ت: د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلو، ط٢، دار هجر، ١٤١٣هـ.

٢٤. طبقات الشافعية، أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة (ت٧٣٧)، ت: د. الحافظ عبد العليم خان، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٧هـ.

٢٥. الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع الزهري (٢٣٠هـ)، ت: إحسان عباس، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م.

٢٦. غريب الحديث، عبدالرحمن بن علي ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، ت: د.عبد المعطي أمين قلعجي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م.

٢٧. الفتاوى الكبرى، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (ت٧٢٨هـ)، ت: حسنين محمد مخلوف، ط١، دار المعرفة، بيروت، ١٣٨٦هـ.

٢٨. فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري، أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تعليق: ابن باز ومحب الدين الخطيب، الدار السلفية، مصر، سنة النشر: بدون.

٢٩. القاموس المحيط، مجد الدين الفيروز آبادي (ت٨١٧هـ)، ت: مكتب تحقيق التراث، ط٧، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٤هـ.

٣٠. كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٠هـ)، ت: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، ط:بدون، دار ومكتبة الهلال، سنة النشر: بدون.

٣١. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور(ت٧١١هـ)، ط١، دار صادر، بيروت، سنة النشر: بدون.

٣٢. المدخل إلى دراسة المدارس والمذاهب الفقهية، د. عمر بن سليمان الأشقر (ت ١٤٣٣هـ)، ط١، دار النفائس، الأردن، ١٤١٦هـ.

٣٣. المسند الصحيح المختصر(صحيح مسلم)، مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت٢٦١هـ)، تحقيق مجموعة من طلبة العلم بإشراف: صالح آل الشيخ، ط٣، دار السلام للنشر

والتوزيع، الرياض، ١٤٢١هـ.

٣٤. المسند، الإمام أحمد بن حنبل، ت: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، وآخرون، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت،١٤٢١هـ.

٣٥. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد المقري الفيومي(ت٧٧٠هـ)، ط: بدون، المكتبة العلمية، بيروت، سنة النشر: بدون.

٣٦. المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تنسيق: سعد بن ناصر الشتري، ط١، دار العاصمة، الرياض، ١٤٢٠هـ.

٣٧. معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ بن أحمد حكمي (ت١٣٧٧هـ)، ت: عمر بن محمود، ط١، دار ابن القيم، الدمام، ١٤١٠هـ.

٣٨. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، ط٢، المكتبة الإسلامية، تركيا، سنة النشر: بدون.

٣٩. منهج النقد في علوم الحديث، نور الدين عتر، ط٣، دار الفكر، دمشق، ١٤١٨هـ.

٤٠. ميزان الاعتدال، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت٧٤٨هـ)، ت: علي محمد البجاوي، ط: بدون، دار المعرفة، بيروت، سنة النشر: بدون.

٤١. النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين ابن الأثير(ت٦٠٦هـ)، ت: علي بن حسن بن عبد الحميد الحلبي، ط١، دار ابن الجوزي، السعودية، ١٤٢١هـ.

❁❁❁